مراحل مفهوم "التدين" في الفكر الإسلامي

إعداد

الدكتور سيكو مارافا توري

الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين والدعوة

كلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية، ماليزيا

الملخص:

تكمن إشكالية هذا البحث في الفجوة الكامنة بين النظرية وبين الواقع، بين النصوص الدينية المتمثلة في الوحيين: الكتاب والسنة، وبين اجتهادات العلماء في فهمهما وتفسيرهما وإنزالهما على أرض الواقع، وبين الفعل والفاعل، وبين التصور والسلوك. يجد المتتبع التنوع في صفوف علماء المسلمين في سبيل إعمالهم الوحي وفي سبيل الالتزام بهما وبتعاليمهما، بل وفي التباين بين تعاليم الإسلام حينا وبين تصرفات بعض المسلمين حينا آخر. فهل كل تدين يمثل الدين، وهل كل فهم للدين يمثل تدينا؟ تسعى هذه الدراسة إلى محاولة بيان المراحل الفكرية لمصطلح التدين. وسيتبع الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع تاريخ الاهتمام بمصطلح التدين، والمنهج التحليلي في دراسة سر تعامل العلماء المهتمين بمصطلح التدين، وفي استجلاء عوامل التركيز على التدين. ومن أهم نتائج البحث أن **مفهوم التدين في الفكر الإسلامي مرّ بعدة أطوار، بالمعنى الفكري لا الزمني**، وكان لعامل "حديث الساعة" أثر في تركيز العلماء على جانب ومنظور معين للكلمة.

الكلمات المفتاحية:

مفهوم التدين، مستلزمات الإيمان، الفكر الإسلامي.

Abstract :

The research problem lies in the gap between reality and theory; and between the religious texts of the two sources of revelations and the scholars' efforts to understand and interpret them, and then implement them on the reality; and between the action and the doer; and between the concept and the conduct. The one who studies such a case will find diversity in the scholars' opinions based on their understanding of the two sources of revelation, and clash between Islamic teachings and the conducts of some Muslims. Under light of this fact, does every understanding of Islam is to be considered to bepart of the concept of religiosity? And Does every form, practice and act of Muslims and Islamic scholars is to be seen as part of religion? This paper aims to shed light on the concepts of "religion" and reality of "religiosity". Does every religiosity claim is accepted by religion? Moreover, Muslim experts have defined the concept of "religion" while they are overlapping it with "religiosity" or making the two terms synonymous. The researcher shall follow the inductive and analytical approach to conduct this research. Last but not the least among the findings of this research is that concept of religiosity has taken several stages in the Islamic thought.

Key words: Religion, religiosity, implementations of belief, Islamic thought.

١.٠. المقدمات المنهجية:

١.١. المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، اللهم رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما، وبعد؛

فلعل من الملاحظ أن الفهم التكاملي لدين من الأديان يقتضي الوقوف على جملة أمور، كما أن من المهم أيضا ملاحظة أن بعض جوانب الدين متسم بالقطعية والثبات، وغير خاضع للتغيير أو الاجتهاد، بينما بعض الجوانب الأخرى تمتاز بالظنية والمرونة. ولعل لعامليْ المكان والزمان والاجتهاد دور في ذلك. أين يبصنف كل جانب، وما ضوابط معرفته ليتمايز كل جانب عن الآخر؟

يجد المدقق أن مصطلح "التدين" يحمل في طياته الكثير من المعاني، كما أنه يحمل تباينا بين العلماء في المفهوم؛ لا يتطرق بعض العلماء إلى بيان مفهوم التدين، بينما يهتم البعض ببيانه ضمن دائرة الدين، فالدين عندهم هو التدين، والتدين هو الدين. على أن من العلماء من فرّق ومايز لكنه اكتفى بمفهوم الدين دون بيان مفهوم التدين، أو العكس: الاهتمام بمفهوم التدين دون العناية بمفهوم الدين، ولعل السبب هو الاكتفاء بما هو معلوم من مفهود الدين عبر الدراسات الكثيرة في ذلك.

يدرك المتتبع للفكر الإسلامي المعاصر الاهتمام بمصطلح التدين، حيث ركز عليه بعض العلماء المعاصرين في ثنايا تعريفهم بالدين، مثل عبد الله دراز ومحمد ذهبي كما سنرى. وركز عليه بعض العلماء في التفريق بين التدين الصحيح ودعوى التدين، أو التفريق بين التدين المطلوب والتدين المغشوش، وبين التدين الحقيقي والتدين الصوري، ولعل محمد الغزالي النموذج الذي يشار إليه هنا. كما اهتم به البعض في بيان أن الاجتهاد

البشري له دور في رسم صورة التدين وحقيقته، وقد يتبع ذلك الفهم المتسم بالتشدد والغلو والافراط أو الوسطية، ويذكر القرضاوي هنا نموذجًا.

يتضح بهذا أن الفكر الإسلامي المعاصر عني بمصطلح التدين بوصفه مصطلحًا مستقلًا عن الدين، وأن له سمته وحقيقته وخصائصه؛ ومن هنا يحاول هذا البحث دراسة مفهوم التدين وتتبع تاريخ تطوره في الفكر الإسلامي منذ أن كان العلماء ينظرون إليه كأحد المصطلحات الدين من باب الاشتراك في جذر الكلمة إلى أن أصبح من مرادفات الدين لدى تعريفهم للدين وصولا بهذا العاصر الذي استقل فيه عن الدين وإن ارتبط به بعلاقات معينة. فما مفهوم الدين وما تاريخ تطوره؟

١.٢. إشكالية البحث:

تقوم إشكالية هذا البحث في التداخل الكبير بين بين مصطلح "الدين" ومصطلح "التدين"، وفي المراحل الفكرية التي أدمجت مصطلح "التدين" في "الدين" دونما إشارة إلى ضابط التفريق بينمهما أو إمكانية التفريق، وعليه، فما مفهوم التدين وما أطوار التعامل معه بوصفه مصطلحا في تاريخ الفكر الإسلامي؟

١.٣. أسئلة البحث:

تكمن أسئلة البحث في الآتي:

١. ما بدايات الاهتمام بـــــمصطلح "التدين" في تاريخ الفكر الإسلامي؟

٢. ما مرحلة العناية بـــــ "التدين" بوصفه مرادفا لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي؟

٣. كيف بدأت الإشارة إلى ضرورة التفريق بين الدين والتدين في تاريخ الفكر الإسلامي؟

٤. ما النداءات الأوَى إلى التفريق بين الدين والتدين، وما عوامل ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي؟

١.٤. أهداف البحث:

يمكن حصر أهداف البحث في الأمور الآتية:

١.دراسة طور الاهتمام بـــــ "التدين" بوصفه جذرا من الجذور اللغوية لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي.

٢. الوقوف على مرحلة الاهتمام بـــــ "التدين" بوصفه مرادفا لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي.

٣. اكتشاف جهود العلماء الذين أشاروا إلى التفريق بين الدين والتدين في تاريخ الفكر الإسلامي.

٤. إبراز النداءات الأوَل إلى التفريق بين الدين والتدين، وما عوامل ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي.

١.٥. أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في الآتي:

أ- بيان الفرق بين الدين والتدين من حيث الاستعمال اللغوي والاصطلاحي.

ب- توفير مصادر في المكتبة العربية والإسلامية فيما يتعلق ببيان المفهوم والمراحل الفكرية في تعامل علماء المسلمين مع مصطلح التدين، والفرق بين كل مرحلة.

ت- تقديم دراسة علمية في التأصيل لنظرية الدين والتدين.

ث- ومن أهمية البحث أيضا أن هذا الموضوع جزء من موضوعات اهتمام الباحث ومواصلة دراساته فيما أسماه بـــــ "نظرية الدين والتدين" منذ مرحلة الدكتوراه فما بعد.

١.٦. الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة ذات الصلة بالبحث في تحديد ماهية الدين أو ضبط مفهومه ما يأتي:

أولًا: من الدراسات السابقة كتاب في فقه التدين فهمًا وتنزيلًا، لمؤلفه عبد المجيد النجار، ناقش في الكتاب مشكلة بعض المفاهيم عن الدين ودروه في الحياة وعن التدين، كما درس مصدر الدين، وفهم الدين، وفهم الواقع.

وللكتاب أهمية بالغة في تقديم فهم عصري للدين ودوره في المجتمع، ودور فهم الواقع المعاش على الدين والتدين، لكن تبقى هنالك فروق جوهرية بين الكتاب والبحث من حيث التفريق الصريح، وبيان العلاقة بينهما.

ثانيًا: ومن الرسائل الجامعية التي وقف عليها الباحث، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر الأسباب–الآثار–العلاج، لكاتبه عبد الرحمن بن معلا اللويحق، وهو بحث علمي مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، درس المؤلف أسباب الغلو في الدين. ودرس آثار مشكلة الغلو. وحلل علاج مشكلة الغلو في العصر الحاضر.

والكتاب مهم في بيان جوهر الدين، بشرح الدين ما هو وكيف يكون الغلو في وكيف يمكن أن يعالج من منظور الدين نفسه، وهذا يساعد على ضبط جوهر الدين، وإدراك حقيقة الدين، من باب من ضدها تُعرف الأشياء. لكن يبقى الكتاب قاصر في تحديد زاوية ما من زوايا البحث وبالتأكيد لم يتطرق إلى التفريق ولا بيان العلاقة.

ثالثا: ومن الدراسات السابقة تحولات التدين في المجتمع السعودي، لمؤلفه عبد العزيز بن زيد آل داود، ناقش المؤلف مفهوم التدين ودلالته، وعني بالحديث عن تحولات الأمم من التدين، وركز على المجتمع السعودي في التدين، وعن تدين المرأة السعودية. في الحقيقة الكتاب مهم في بيان الفرق بين الدين والتدين، لكنه لم يدرس القضايا من منظار التيار العقلاني السائد في مصر بل عنها في السعودية، على غرار ما يحاول هذا البحث الوقوف عليه.

ثالثا: ومن الدراسات السابقة كتاب The Reconstruction of religious thought in Islam، لمؤلفه محمد إقبال، والكتاب عبارة عن محاضرات ألقيت في أوقات وأماكن مختلفة وجمعت من بعد في كتاب. يعالج الكتاب أساس قضية إمكانية تجديد الدين وسبيل ذلك.

رابعا: ومن أهم ما وقف عليه الباحث كتاب وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، لمؤلفه محمد الزحيلي، تناول الكتاب مفهوم الدين، وبواعث التدين الفطرية، وظيفة الدين في حياة الفرد والمجتمع، كما ناقش موضوع الدين والعلم. أقول كتاب رائع لو صح الحكم من الباحثين عليه، والبحث استفاد ويستفيد منه في مظانه، إلا أنه لم يأت على دراسة موقف التيار العقلاني المعاصر في كتابات حنفي كواحد من الخطابات الإسلامية المعاصر في مصر.

خامسا: وله كتاب آخر له صلة بموضوع البحث وهو الاعتدال في التدين فكرًا وسلوكًا ومنهجًا، ألفه لما رأى تعدد مواقف الناس في التدين، فدرس المؤثرات الإيجابية والسلبية في تغليب جانب ديني على جانب، مما يؤدي إلى الإفراط أو التفريط.

سادسًا: ومن الدراسات السابقة كتاب مطالعات في الدين والتدين والعصر، لمؤلفه محمد خاتمي، والكتاب عبارة عن مقالات متفرقة للمؤلف ألقيت في أماكن مختلفة ثم دعت الحاجة إلى جمعها في كتاب، وهو يناقش قضية الدين والتدين في هذا العصر على مستوى الفرد والمجتمع وتقديم حضارة.

الكتاب له مكانته في بوتقته الفكرية السياسية، غير أن من الفرق بينه وبين هذا البحث هو النداء إلى التفريق بإعطاء مفهوم مستقل لكل وإيضاح الفرق وثمرة التفرقة.

سابعًا: وألف محمد عمارة كتبا لها علاقة بموضوعنا، من هذه الكتب كتابه التفسير الماركسي للدين، والكتاب ألف لدراسة آراء نصر أبو زيد وتفسيراته للدين، والرد على تلك الآراء بناء على أنها آراء ماركسية في فهم الدين، وبالتالي خارج عن دائرة الصواب والمنهج المرسوم؛ فالكتاب جيد في موضوعه، إلا أن موضوع هذا البحث أعم وأشمل، والبحث ليس ردًّا لكاتب أو فكرة بعينها، بقدر ما هو محاولة إثبات وتأصيل.

ثامنًا: ومن جملة ما يذكر في الدراسات السابقة كتاب نقد الخطاب الديني، لصاحبه نصر أبو زيد، ولقد أورد مؤلفه صياغة الدين صياغة جديدة، تتماشى كما يرى المؤلف

مع تطورات العصر وتتجاوز حرفيات التراث، انطلق الكتاب من تحليل ظاهرة ما يسمى بالصحوة الدينية، معلقا أنه توجد اتجاهات ثلاثة حول تفسير هذه الظاهرة، وتناول كل اتجاه بدراسة. كما تحث عن فكرة: من قراءة التراث الفكري إلى طرح إشكالات قراءة النصوص الدينية نفسها.

وهكذا، فإن الفرق بين كل هذه الدراسات السابقة أنه لم يعن أي منها بالتعريف والتفريق والتأصيل، علاوة على تحليل العلاقة الجدلية بينهما.

تاسعًا: ومن الدراسات السابقة رسالة الدكتوراه المعنونة بـــــ "الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر" ركز فيها كاتبه سيكو توري على ضرورة التفريق بين الدين والتدين، وحاول تعريف كل ومحاولة التأصيل للأمر. والفرق بين الرسالة وهذا البحث، هو أن الرسالة مجرد سرد للمادة العلمية كخام، بينما هذه الدراسة جاهدت في تحليل المادة العلمية وتقسيمها على أطوار وإيجاد ضابط كل طور! وقد استفاد الباحث من معلومات الرسالة، على أنه لم يكتف بها.

عاشرًا: ومما يذكر من الدراسات السابقة كتاب الدين والتدين: التشريع النص الاجتماع، لعبد الجواد ياسين، نشرت الطبعة الأولى منه ٢٠١٢م؛ حيث سعى فيه الباحث إلى التفريق بين الدين والتدين على أسس فلسفية وأطر منطقية، ويذكر أن الفرق بين هذه الدراسة والدراسة السابقة حول الدين والتدين أن التأصيل كان دمجا بين النصوص الدينية والمعقول و لم يك منطقيا أو فلسفيا فقط. والفرق بين دراسة عبد الجواد ياسين وهذه الدراسة هو أن الباحث هنا يتطرق إلى أكثر من تعريف، ولعل جمعه للمفاهيم مبنية على استقراء، علاوة هلى أن المنهج هناك منهج فلسفي.

حادي عشر: ومن الدراسات السابقة أطروحة مفهوم الدين ومظاهر التدين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية، وهي رسالة دكتوراه لزميل للباحث، وهو الدكتور مصدق مجيد خان، قُدمت إلى الجامعة الإسلامية العالمية؛ حيث ركز فيه على

مفهوم الدين في القرآن، و لم يستقرأ مفهوم الدين، على أن الباحث هنا يتطرق إلى مفهوم الدين في القرآن من حيث تأصيل النظرية.

ثاني عشر: وآخر ما سيذكر من دراسات سابقة مقال علمي محكم **بعنوان المراحل الفكرية لمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي**، نشر في مجلة (الراسخون) العدد ٣، ٢٠١٦ بين فيه الباحث أن "الدين" مصطلحٌ من المصطلحات المتداولة في مختلف زوايا الحياة ومجالاتها العلمية المختلفة، ويوجد له ما يماثله من مصطلحات في أغلب لغات العالم إن لم يقل الباحث كل اللغات. يلاحظ أن الناس يستخدمون المصطلح لمعانٍ متباينة، يوسع فيه حينًا ويضيق تارة أخرى؛ بحسب السياق أو حسب غاية المستخدم ومراده، ولا ريب أن لذلك انعكاسًا في مدلولاته وما سيؤول إليه من حكم ووصف. يضاف إلى هذا أن المدقق في الفكر الإسلامي يقف على اهتمامات مختلفة لمفهوم الدين ما أدى إلى التركيز على ما يفي بالغرض وقت الحاجة إلى بيان مفهومه. لذا، سعت الورقة إلى تتبع أهم المفاهيم التي أعطيت للمصطلح وتحليل ضابط كل طور. وتبع الباحث في سبيل تحقيق ذلك المنهج الاستقرائي في تتبع الأمر، والمنهج التحليلي في دراسة عوامل وضوابط كانت لها الأثر في الميل نحو مفهوم معين. وكان من أهم نتائج البحث أن مفهوم الدين في الفكر الإسلامي مرّ بعدة أطوار، والطور هنا بمعناه الفكري لا الزمني، وكان لعامل "حديث الساعة" أثر في تركيز العلماء على جانب ومنظور معين للكلمة. العلاقة بين الدراسة وهذا البحث هي أن الحديث عن "الدين" قرين الصلة بالحديث عن "التدين" والعكس صحيح، إلا أن هذه الدراسة ركزت على مراحل تطور التدين، على خلاف ذاك التي ركزت على تطور الدين. وحيث إن ذاك البحث حديث جدا وقريب الصلة بهذا الموضوع فإن الباحث ارتأى ذكر أهم النتائج التي انتهت إليه الدراسة، ومنها ما يأتي:

١- مثل الطور الأول طور ما قبل التعريف الاصطلاحي للدين في الفكر الإسلامي؛ حيث لم يعن بتعريفه وفق الشروط المنطقية للحد، إنما من حيث البنية اللغوية، فأتى المفهوم عامًا وواسعًا.

٢- وجاء الطور الثاني باسم طور الاهتمام بمفهوم "الدين" اصطلاحًا وحصره في "الإسلام"، في تاريخ الفكر الإسلامي. إذ عني برسم صورة اصطلاحية لمصطلح الدين وما يتضمنه، فحصر العلماء مفهوم الدين في الإسلام، ولعل السبب في ذلك هو التعريف أتى لمخاطبة المسلمين في ظل سيادة الحضارة الإسلامية، وكان أغلب العلماء يخطبون المسلمين في تأليفاتهم.

٣- وتمثّل الطور الثالث في طور الاهتمام بمفهوم "الدين" في الفكر الإسلامي بما يردّ "العلمانية" في الفكر الإسلامي. ارتكز هذا الطور على محاربة العلمانية وبيان أن الإسلام دين ودولة، فبني مفهوم الدين على ذلك.

٤- والطور الرابع والأخير من أطوار تطور مفهوم الدين في الفكر الإسلامي هو طور المفهوم الأكاديمي للعلم من منظور دراسات الأديان في الفكر الإسلامي. حيث اهتم بالمصطلح ليقدم تعريفا أكاديميا للدين. فدخل فيه الإسلام كما يدخل فيه غيره من الأديان، من حيث أنه مصطلح موضوع لمنظومة اعتقادية معينة، ولعل السبب في ذلك هو أن الغاية في التعريف اختلف عما ذي قبل.

١.٧. منهج البحث:

سيتبع الباحث المنهج الاستقرائي في تتبع أهم المفاهيم القائمة حول التدين. كما يتطلب البحث التعرض للمنهج التحليلي، وذلك لدراسة عوامل تباين التعاريف، ومحاولة الكشف عن سر المراحل الفكرية لمصطلح "الدين" والأسباب التي أدت بالباحثين إلى التركيز على جانب معين في تعاريفهم للمصطلح.

١.٨. حدود البحث:

ستدور رحى البحث في الإطار الآتي:

أ- مفهوم مصطلح التدين، فخرج مفهوم الدين.

ب- مفهوم مصطلح التدين كمصطلح، فخرج الفكر الذي يقوم على التفريق بين

الدين والتدين بمصطلحات وطرق أخرى.

ت- المراحل الفكرية للمصطلح لا المراحل التاريخية

ث- الفكري الإسلامي، فخرج الفكر الغربي.

١.٩. محتوى البحث:

يمكن هيكلة البحث وفقا لأهدافه إلى المحاور الآتية:

١- مرحلة الاهتمام بـــــ "التدين" بوصفه جذرا من الجذور اللغوية لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي.

٢- طور الاهتمام بـــــ "التدين" بوصفه مرادفا لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي.

٣- دور الإشارة إلى التفريق بين الدين والتدين في تاريخ الفكر الإسلامي.

٤- فترة النداء إلى التفريق بين الدين والتدين، وعوامل ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي.

المبحث الأول: المرحلة الأولى: الاهتمام

بـــ "التدين" بوصفه جذرا من الجذور اللغوية لمصطلح "الدين":

يقف المتتبع على أن العلماء اهتموا من قبل بمفهوم الدين وبيانه، ولعلهم لم يهتموا كثيرا بمصطلح "التدين" مثل اهتمامهم بمصطلح "الدين". فكان "التدين" يدخل ضمن دائرة الاهتمام، وذلك لأن مصطلح "دين" يأخذ أشكالًا وبُنىً كثيرة بحسب التصريف، منها:

١- **تدِين:** –بكسر الدال– ومن هذا قولهم "كما تدين تدان"[١] ويقرأ بفتح التاء كما ورد في لسان العرب: "كما تَدِينُ تُدان"[٢] ويقرأ بالضم كما جاء في مختار الصحاح: "كما تُدِينُ تُدَانُ."[٣] وهذه الأشكال تأتي بمعنى الجزاء، **وليس هو المراد هنا في البحث المعنون بـــ تطور مفهوم التدين في الفكر الإسلامي**، يذهب الفراهيدي في كتاب العين أن للدين عدة معان؛[٤] منها: الطاعة، وبيّن أن الدِّينُ مفرد جمعه الأديان، وأن الدِّين –الذي بمعنى جزاء–: الجَزاءُ لا يُجْمَعُ لأنّه مصدر. فعلى هذا يخرج الدين الذي بمعنى الجزاء لغة، لأن الدين الذي نحن بصدده مفرد وله جمع وهو الأديان.[٥]

٢- ومن صوره أيضًا: **تدَيَّن** –بفتح الدال، لاحظ الفرق، فالصورة الأولى بالكسر وهنا الفتح–، وهذا يأتي كمضارع لدان يتدين أي آمن يؤمن واعتقد يعتقد كما تم

---

(١) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، **أساس البلاغة** (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩). ج١، ص٢٠٠.

(٢) ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، ، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط١، د.ت) ج١٣، ص١٦٤.

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الجديدة، ١٩٩٥). ج١، ص٢١٨.

(٤) أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د،ت) ج٨، ص٧٨.

(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

شرحه. وغالبا ما يتعدى هنا بالباء، جاء في **المصباح**: "و(دَانَ) بالإسلام (دِينًا) بالكسر تعبد به و (**تَدَيَّنَ** بِهِ) كذلك فهو (دَيِّنٌ)."[1] وفي لسان العرب: "..والجمعُ الأَدْيانُ . يقال : دانَ بكذا ديانة و **تَدَيَّنَ** به فهو دَيِّنٌ و مُتَدَيِّنٌ."[2] وفي **مختار الصحاح**: "..ومنه الدِّينُ والجمع الأَدْيَانُ ويقال دَانَ بكذا دِيَانَةً فهو دَيِّنٌ و تَدَيَّنَ به فهو مُتَدَيِّنٌ."[3] **وبهذا المعنى يكون مضارع من دان (دينا)، ومن هنا يرجع أصل مصطلح "التدين" إلى جذر "الدين". ويأخذ معناه بهذا الكلام.** وفي الصورتين السابقتين استخدم مصطلح "التدين" فعلا فلا يدخله أل التعريف.

الشاهد أنه في هذا الطور لا وجود في الذهن لشيء يمتاز عن الدين، فالدين هو التدين والتدين هو الدين. وهذا الكلام صحيح وسليم من هذا المنطلق الذي عمدته وضابطه الاشترك اللغوي في المعنى لعامل ذجر الكلمة.

٣- ومن صوره ثالثا: تدَيُّن بفتح الدال وضم الياء، وبهذا يكون مصدرا وهو المراد هنا في مقابلتنا الدين بالتدين، جاء في شرح ابن عقيل: "إن كان على وزن تفعل فقياس مصدره تفعل بضم العين نحو تجمل تجملا وتعلم تعلما وتكرم تكرما".[4] ومنه التصوّف والتعرّف والتعرُّق والتدين. وقال الحريري "كل ما كان على وزن تفعل أو تفاعل مما آخره مهموز كان مصدره على التفعل"[5]

(١) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، **المصباح المنير** (القاهرة: المطبعة الأميرية، ط٥، ١٩٩٢م)، ج١، ص٢٠٥.

(٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص١٦٤.

(٣) الرازي، **مختار الصحاح**، ج١، ٢١٨.

(٤) ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني، **شرح ابن عقيل**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٩٨٥). ج٣، ص١٣٠.

(٥) الحريري، القاسم بن علي (٥١٦هـ)، **درة الغواص في أوهام الخواص**، تحقيق عرفات مطرجي (بيروت: مؤسسة مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٨). ج١، ص١١٥.

تدِين (من الجزاء، وهو غير مراد). تديَّن (فعل ماض من دان، سبق شرحه). تدين، **التدين** (المراد)

وعليه؛ فإن الطور الأول للتعامل مع مصطلح التدين ارتكز على الجذر اللغوي الذي يرجع إلى لفظ تدين ويحمل معناه، أما الذي هو مصدر ويحمل معنى آخر فلم يتم التركيز عليه ولا دراسته وبيان مفهومه. وهذا البحث يسعى إلى الاهتمام بهذا وبيانه. وإن اشترك لفظ الدين مع لفظ التدين في الرسم بحكم الجذر اللغوي إلا أن المعنى قد يختلف حسب السياق وحيب الاستعمال.

والسياق أو الاستخدام المراد من التدين هنا هو مثل قول ابن حجر: "كان أكثر أهل العراق من القراء الذين يبالغون في التدين ومن ثم صار منهم الخوارج"[1] ويمثل التدين الذي عنون به محمد الزحيلي في كتابه **الاعتدال في التدين فكرًا وسلوكًا ومنهجًا**، ويمثل التدين الذي ألف منه عنوان رسالته الدكتوراه، **الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر**. ولا جرم أن معنى التدين (المصدر) في مثل هذه السياقات والاستخدامات يختلف عنه في سياق استخدامه بوصفه فعلا لدان "دين"؛ حيث لا يتناسب أن يفسر هنا بالاعتقاد أو الإيمان، حيث لا مبالغة في الإيمان في كلام ابن حجر، ولا اعتدال في الاعتقاد والإيمان في تعبير الزحيلي؛ إذ هو التصديق القلبي الجازم، وإنما الغلو في التدين والاعتدال فيه كذلك. فما هو التدين؟

(١) انظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دراسة وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار المعرفة، طبعة مزيدة ومنقحة، ١٣٧٩هـ)، ج١٣، ص٢٨٩.

المبحث الثاني: المرحلة الثانية: الاهتمام

بـــــ "التدين" بوصفه مرادفا لمصطلح "الدين"

في هذا الطور تم الاهتمام بالتدين تارة بوصفه مرادفا لغويا لمصطلح الدين، وأخرى بوصفه مرادفا اصطلاحيا للدين في المفهوم.

المطلب الأول: الاهتمام بالتدين بوصفه مرادفا لغويا لمصطلح الدين:

فقد مرّ الاهتمام بمفهوم الدين بعدة أطوار؛ أحد هذه الأطوار هو طور ما قبل التعريف الاصطلاحي للدين. فعرفت القواميس والمعاجم العربية القديمة منها والحديثة الدين –بكسر الدال المهملة– بمصطلحات كثيرة جدا، من هذه المصطلحات ما هو متداخل ومنها ما هو من قبيل المترادفات ومنها ما هو من قبيل إطلاق الكل على الجزء، ومنها العكس من ذلك؛ وهي إطلاق الجزء وإرادة الكل، ومنها ما يطلق من اعتبار ما يترتب من أحد معانيه. والسبب في ذلك واضح، حيث لم يهدفوا إلى تعريف الدين تعريفا اصطلاحا. وعليه، فإن من معاني الدين في هذا الطور من أطوار الاهتمام بالدين هو: الجزاء والمكافأة، والحساب، والطاعة، والخضوع، والإسلام، والعادة والشأن، والطاعة والتعبد، والنظام والقانون كما جاء بن ابن منظور.[1]

ومثله بيان **الفيروز آبادي**: الإسْلامُ، والعادةُ والعِبادةُ والطاعة والذُّلُّ والدَّأْبُ والحِسابُ والقَهْرُ والغَلَبَةُ والاستعلاء والسُّلطانُ والمُلْكُ والحُكْمُ والسِّيرَةُ والتَّدْبيرُ والتَّوْحيدُ **واسْمٌ لجميعِ ما يُتَعَبَّدُ الله عَزَّ وجلَّ به** والمِلَّةُ والوَرَعُ والمَعْصِيَةُ والإكْرَاهُ، والحالُ والقضاءُ . وبين أن: "ودِنْتُه أدِينُه": خَدَمْتُهُ وأحْسَنْتُ إليه ومَلَكْتُ.[2]

ومثله بيان **الفيومي** فقد عرف الدين بأنه العبادة والسيادة والاعتقاد؛ إذ قال: "(دَانَ)

(١) انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص ١٦٤.

(٢) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، نسخة مصورة عن ط٣ للمطبعة الأميرية ١٤٠٠،١٣٠٢هـ)، ج٤، ص٢٢١.

بالإسلام (دِينًا) بالكسر تعبد به و (تَدَيَّنَ بِهِ) كذلك فهو (دَيِّنٌ) مثل ساد فهو (سَيِّدٌ) و (دَيَّنْتُهُ) بالتثقيل وكلته إلى دينه و (تَرَكْتُهُ وَمَا يَدِينُ) لم أعترض عليه **فيما يراه سائغا في اعتقاده** و (دِنْتُهُ) (أَدِينُهُ) جازيته."[1]

ومثله بيان: **ابن فارس** في معجم مقاييس اللغة أن الدين جنس من الانقياد والذل وهو الطاعة وما في معناه، يقول في ذلك: " (دين) الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. **فالدِّين: الطاعة،** يقال دان له يَدِين دِينًا، إذا أصْحَبَ وانقاد وأطَاعَ. وقومٌ دِينٌ،."[2]

الشاهد هو إدراج التدين في الدين كمستلزمات للدين، فأخذ اللفظان اسم الترادف، بالاكتفاء بأحدهما عن الآخر، فاهتم بالتدين من باب أنه مرادف للدين، فالدين هو التدين والتدين هو التدين بدون تفصيل أدق. لذلك تم بيان مفهوم الدين بما هو التدين كما سنرى؛ من مثل الطاعة والعيادة والتعبّد.

المطلب الثاني: الاهتمام بالتدين بوصفه مرادفا اصطلاحيا للدين في المفهوم:

ومن جهة أخرى يجد المتتبع أن بعض العلماء الذين اهتموا ببيان مفهوم الدين اصطلاحا تنبهوا إلى أن مصطلح الدين يختلف عن مصطلح التدين، إلا أنهم لم يفرقوا بين الدين والتدين في المفهوم، إذ جعلوا منه معا واحدا، ولعل هؤلاء العلماء فسروه من باب الفعل –تفعَّل، الصورة الثانية في البيان السابق–، و لم ينظروا إليه مصدرًا كما ينبغي.

ومن هؤلاء العلماء **محمد عبد الله دراز،** إذ عرف الدين مرادفا للتدين بقوله هو: "الاعتقاد بوجود ذات – أو ذوات غيبية– لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة

(١) الفيومي، **المصباح المنير**، ج١، ص٢٠٥.

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة** تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩)، ج٢، ص٣١٩.

ورهبة، وفي خضوع وتمجيد". هذا تعريف الدين بالنظر إلى إيمان المتدين، فيكون الدين والتدين من المرادفات، وعرفه بعبارة أخرى موجزة هي: "الإيمان بذات إلهية، جديرة بالطاعة والعبادة". فالمتدين هو الذي يرى أن ما آمن به مستحق للطاعة. وعرف الدين باعتباره حقيقة خارجة؛ أي بالنظر إلى أنه مجرد إيمان دون التعرض لدور المتدين من إيمان وخضوع وطاعة، فقال: "هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها".[1] وقد عبّر بالتدين (المصدر) وأراد (تدين) الفعل، الذي لا يدخله أل التعريف، إذ يأتي وزن تفعّل (تدين) لمعان، لنستعين بما قاله الزمخشري في ذلك، فقد ذكر أنه يجيء بمعنى **المطاوعة** فعل نحو كسرته فتكسر. وبمعنى **التكلف** نحو تشجع وتصبر وتحلم. وبمعنى **استفعل** كتكبر وتعظم **وللعمل بعد العمل** في مهلة كقولك تجرعه وتحساه وتعرفه. وبمعنى **اتخاذ الشيء** نحو تديرت المكان وتوسدت التراب ومنه تبناه وبمعنى **التجنب** كقولك تحوب وتأثم وتهجد وتحرج أي تجنب الحوب والإثم الهجود والحرج.[2] فقد ذكر ستة معاني، ولعل المناسب من هذه المعاني هو الثاني والخامس. وعلى هذا فسر دراز التدين بالدين، أي اتخذ دينا، أو كلف نفسه وتحمل دينًا إن صح التعبير.

ومن علماء المسلمين الذي استعملوا الدين مرادفا للتدين **محمد حسين الذهبي**؛ إذ عرف التدين بقوله: "أما التدين، فهو التمسك بعقيدة معينة، يلتزمها الإنسان في سلوكه، فلا يؤمن إلا بها، ولا يخضع إلا لها، ولا يأخذ إلا بتعاليمها، ولا يحيد عن سننها وهديها. ويتفاوت الناس في ذلك قوة وضعفًا، حتى إذا ما بلغ الضعف غايته، عد ذلك خروجا عن

(١) انظر: التعريفات جميعا في: دراز، محمد عبد الله دراز، **الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان** (الكويت: دار القلم، ١٩١٩٥٢). ص٥١.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى : ٥٣٨هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق علي بو ملحم (بيروت: مكتبة الهلال، طذ، ١٩٩٣). ج١، ص٣٧١.

الدين وتمردا عليه."[١] فالتدين هو الاعتقاد والإيمان عنده، فهو أيضا نظر إليه كما نظر إليه دراز كما تم بيانه.

ومن الذي يرون الترادف بين الاثنين **محمد الزحيلي**؛ إذ عرف التدين بالطريقة أو المذهب الذي يسير عليه المرء نظريا وعمليا، وهو أنه المنهج الذي يتبعه في حياته وفي علاقته مع غيره وفي خضوعه لربه وعبادته.[٢] وهو ما نجده في كتاب آخر له.[٣]

ومنهم محمد رضا **محمد بشير القهوجي**؛ إذ فسر التدين باتخاذ دين، وأن التدين فطرة...[٤] ومعلوم أن الدين هو الإيمان وتدين بمعنى آمن واتخذ دينا، وهذا فعل غير التدين المصدر.

يرى الباحث ضرورة التفريق بين الاثنين، كما ذهب لذلك كثير من المتأخرين، لنقف على نماذج منهم ثم يقترح الباحث ما يراه مناسبا من تعريف.

(١) : الذهبي، محمد حسين الذهبي، **الدين والتدين** (السعودية: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول، ١٣٩٥)، ص٢.

(٢) الزحيلي، **الاعتدال في التدين فكرا وسلوكا ومنهجا**، ص٥.

(٣) الزحيلي، **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه**، ص١٨ فما بعد.

(٤) محمد رضا محمد بشير القهوجي، **مقارنة الأديان** (دمشق: دار الوراق، ط١، ٢٠٠٨)، ص١٨.

المبحث الثالث: المرحلة الثالثة: مرحلة الإشارة إلى التفريق بين الدين والتدين

تمهيد:

يلاحظ بجلاء أن القاسم المشترك بين المراحل الأربع الأولى هو أنها جميعا تتحدث عن الدين بوصفه جسما واحدا متكاملا ليس مجزئا. فالمرحلة الأولى أدمجت مستلزمات الدين فيه وعرفه بمترتباته، وتبنت المرحلة الثانية الأمر نفسه مع تركيز إطلاق المصطلح على الإسلام فحسب، ويقال الكلام نفسه عن المرحلة الرابعة –كما سيأتي بيانه– مع الاهتمام بمواجهة العلمانية لدى التعريف وإطلاق مصطلح "الدين." أما المرحلة هذه المرحلة فقد لمحت نوعا ما بوجود مصطلح "الدين"، وأنه ليس عين "التدين." لكنها اكتفت بتعريف الدين دونما التطرق إلى التدين، أو عرف أحدهما بالآخر. يعني يطلقون الدين على التدين أحيانا، والعكس صحيح، والفرق غير واضح من أعمالهم. وتمتاز هذه المرحلة بظهور نداءات يفهم منها أن الدين غير التدين.

المطلب الأول: جهود عبد المجيد النجار في الإشارة إلى التفريق بين الدين والتدين:

من العلماء الذين نبهوا إلى ذلك **عبد المجيد النجار**؛ حيث ذكر أن الدين –أطلق الدين هنا على مفهومه الخاص وهو الإسلام– هو التعاليم الإلهية التي خوطب بها الإنسان على وجه التكليف، والتدين هو الكسب الإنساني في الاستجابة لتلك التعاليم، وتكييف الحياة بحسبها في التصوّر والسّلوك. ثم بين أنه بحسب هذا التعريف فإن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين؛ إذ الدين هو ذات التعاليم التي هي شَرْع إلهي، والتدين هو التشرع بتلك التعاليم، فهو كسب إنساني. وبالنتيجة فهو يرى أن هذا الفارق في الحقيقة بينهما يفضي إلى فارق في الخصائص، واختلاف في الأحكام بالنسبة لكلّ منهما.[1]

يلاحظ أن ضابط التفرقة بينهما غير دقيق أو غير عملي، وتكمن أهمية عمله في التلميح إلى اختلاف الأمرين.

---

(١) النجار، **في فقه التدين فهما وتنزيلا**، ص١٨.

المطلب الثاني: جهود عبد العزيز بن زيد آل داود في الإشارة إلى التفريق بين الدين والتدين:

ومن العلماء الذين نبهوا إلى ذلك صاحب كتاب **تحولات التدين في المجتمع السعودي**؛ إذ بين أن الدين والتدين مصطلحان مختلفان، فالدين وحي ورسالة وبعثة ونبوة -وهو بلا شك يعرف الدين بالإسلام كما هو واضح-، وأن التدين حالة وظاهرة لها بداية وتحولات.[١] وعرفه أيضا بأنه توجه المجتمع بأغلبه إلى **التمسك بالدين** ومحاولة تمثله في جميع مناحي الحياة، والاستمرارية في صبغ الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية والإعلامية والاقتصادية بالصبغة الإسلامية التي تراها الأمة مجتمعة.[٢] وما قيل أعلاه تعليقا على عمل النجار يعاد هنا!

المطلب الثالث: جهود صلاح عبد المتعال في الإشارة إلى التفريق بين الدين والتدين:

ومن الذي يرون عرفوا والتدين بوضوح **صلاح عبد المتعال**؛ إذ عرف التدين بأنه نمطٌ سلوكي وأسلوب حياة بغرض التمسك والالتزام بأفكار المعتقد الديني وتعاليمه تجاه الخالق والمجتمع، إذ يتميز بالإرادة لتعديل السلوك استجابة لمضمون العقيدة الدينية.[٣] فأنت ترى الفرق جليا في أن الدين هو إيمان واعتقاد، وأن التدين شيء مغاير، فهو ظاهرة وحالة استجابة لما سبق اعتقاده. على أنه عرف التدين لا الدين، لكن يفهم من سياق تعريفه — الكلمتين الأخيرتين من التعريف- أن الدين هو الجانب العقدي.

(١) عبد العزيز بن زيد آل داود، **تحولات التدين في المجتمع السعودي**، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٨.

(٣) صلاح عبد المتعال، مقالة له بعنوان **التدين الجديد مناورة حضارية**، مقالة نشرت على إسلام أون لاين، ٢٠٠٨. ص٢.

المبحث الرابع: المرحلة الرابعة: مرحلة النداء إلى التفريق بين الدين والتدين: العوامل والاتجاهات:

المطلب الأول: مرحلة النداء إلى التفريق بين الدين والتدين:

نادى الباحث في رسالته الدكتوراه المعنونة بـــــ: "**الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**" إلى ضرورة التفريق بين الدين والتدين، وحاول تعريف كل ومحاولة التأصيل للأمر. جدير بالذكر أن الباحث لم يقف يومئذ (٢٠١٠ – ٢٠١٣) على دراسات سابقة تدعو إلى الأمر، وفق علمه، ومن هنا فيمكن اعتبار الرسالة النداء الأول للتفريق بين الدين والتدين، مع الإقرار بالمساهمات العلمية التاريخية نتيجة هذه المراحل السابقة، وما صاحبتها من دراسات وأبحاث.

يضاف إلى هذا بأن النظر إلى الإسلام –قبل أطروحة "**الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر**"– كدين وتدين، أمر ثابت في الإسلام وفي الفكر الإسلامي قديما وحديثا، إذا أبعدنا هذه التعريفات التي فرقت بين الدين والتدين، وذلك لمزيد من اطمئنان القلب. كما أن لكون الإسلام مقاصدا أمرٌ معروف قبل الغزالي والجويني والشاطبي وابن عاشور، فقط أبرزوه لما دعت الحاجة.

المطلب الثاني: عوامل النداء إلى التفريق بين الدين والتدين:

يجد القارئ للقرآن الكريم أن القرآن دائما يعالج ما عرف بقضايا أصول الدين، أو الفقه الأكبر أو العقيدة، أو التوحيد، أو علم الكلام أو التصور الإسلامي باسم "الإيمان" ومشتقاته. ثم يتبعه بعمل صالحا، فأينما وجد "آمنوا" فثمة "وعملوا".[1] قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[2]، وقال أيضًا:

(١) الكبيسي، محمد عياش، **المحكم في العقيدة** (الدوحة: أعلام للفكر والثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣). ص ١٥ فما بعد.

(٢) سورة البقرة: ٢٥.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1] فآمن أولا ثم عمل أو آتى المال..فالجانب الإيماني "آمن" هو الدين، والجانب العملي هو "التدين".

ومما يؤكد لنا هذه الحقيقة من السنة أيضا؛ إضافة إلى الدليل القرآني قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((إن يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، أو أمر دينها)).[2] يبين القرضاوي أن كلمة الدين ومثلها كلمة الإسلام إذا أطلقت تعني أحد أمرين:

أولهما: المنهج الإلهي الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، من العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع؛ لينظم بها علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض، ثم بين أن الدين أو الإسلام بهذا المعنى ثابت لا يتغير ولا يتجدد.

والثاني: الحالة التي يكون عليها الإنسان في علاقته بالمعنى الأول فكرا وشعورا وعملا وخلقا. وبين أن في هذا المعنى يقال: فلان ضعيف الدين أو قويه، حسن الإسلام أو رديء الإسلام. ثم بين أن الدين هنا متحرك متغير. فهو يزيد ويتقص ويصفو ويكدر بحسب ويستقيم وينحرف بحسب فهم الإنسان له، وإيمانه به، والتزامه بتعاليمه. ثم ذكر أن هذا هو الذي يقبل التجديد، وأن لذلك نسب الحديث الدين إلى الأمة لا إلى الله. فدين الله ثابت لا يتغير ودين الناس متغير متجدد.[3]

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) قال الألباني صحيح، انظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داوود**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت) ج٢، ص٥١٢.

(٣) القرضاوي، **من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا**، ص١١ – ٣٨.

فهذا الحديث بيان من النبي صلى الله عليه وسلم في أنه من التدين جوانب يحتاج إلى تجديد؛ تجديد في الطرق المبتكرة في المعاملات وإيجاد حكم شرعي لها، تجديد في تقديم فهم وتفسير على مستوى العصر والثقافة. وكل هذا في التدين إذ الإيمان ثابت، لا جديد ولا تجديد في وجود الله، ونبوة محمد –صلى الله عليه وسلم، وفي البعث وما يحدث فيه. ولكن التجديد في بيان نوعية المجتمع الإسلامي، في الحريات، في الأقليات، وفي الوجوه المبتكرة في البيع والشراء، وأسلوب الحياة. فالإسلام دين وتدين إيمان وعمل كما في الحديث إضافة إلى القرآن. ولا أرى جهود محمد إقبال في كتابه **تجديد الفكر الديني** Reconstruction of Religious Thought In Islam؛ إلا لإثبات هذا، فلعله يريد أن يقول: إن الإيمان حق وممكن، يتبعه تدين لكن التدين متطور بالاجتهاد الذي هو مبدأ الحركة في الإسلام.[1]

وهذه الأمور كلها مع بعض تسهل علينا فهم أن الأنبياء بعثوا بالإيمان والعمل، وسر ثبات الدين لأنه خبر، وتغيير التدين وصوره.[2] فهم بعثوا بالدين والتدين، ففي الدين لم يختلفوا؛ إنما هو إله واحد، أرسل رسولا، وأن الجنة والنار حق. وتدين يختلف من نبي إلى آخر، فيه نسخ وفيه تطور وتبديل، التعدد مفتوح في تدين ومحدد في آخر، يتزوج الرجل بأخته في تدين وفي تدين آخر لا، وهكذا.

ويمكن الإضافة إلى دليلي القرآني والسنة السابقي الذكر، وإلى دليل فلسفة تاريخ الرسل، رؤى بعض المفكرين المسلمين. يبين البوطي أن الإسلام أو الدين عقيدة وما يتبع من شريعة وأخلاق.[3] فهو الدين والتدين. ويرى أنيس مالك طه أن العقيدة من الدين

(١) انظر كتابه الرائع في هذا:
Mohammad Iqbal, The Reconstruction of religious thought in Islam (Lahore: Iqbal Academy Pakistan; Institute of Islamic Culture, 1986).

(٢) البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص٧٢؛ البوطي، **فقه السيرة**. ص٥١.

(٣) انظر: البوطي، **كبرى اليقينيات الكونية**، ص٧٢؛ البوطي، محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة النبوية**. ص٥١.

كالرأس من الجسد وأنه ما من دين إلا ويأتي بالعقيدة ويدعو أتباعه إليها، ثم يأتي بعدها أمور أخرى يطول ذكرها.[١] ولا أرى هذه الأمور الأخرى إلا التدين. ويرى الكبيسي أن القرآن ربط الدين أو الإيمان بجوانب الحياة كلها،[٢] وهذا هو جزئية التدين. ولا أرى تقسيم طارق رمضان للإسلام إلى إسلام عربي، وإسلام ماليزي، وإسلام باكستاني، وإسلام إفريقي، وإسلام أوربي، ودعوته إلى بيان المسلم الأوروبي أو الفرنكفوني إلا من هذا القبيل.[٣] حيث لا شك أن الدين واحد ثابت، لكن التدين المتمثل في أسلوب الحياة واللباس والأكل والتصرف يأخذ هذه الأشكال المذكورة، وهذا واقع معاين؛ هو متعدد والإسلام واحد.

(١) انظر: أنيس مالك طه، **التعددية الدينية**، ص٢٨.

(٢) الكبيسي، **المحكم في العقيدة**. ص٤٠.

(٣) انظر في ذلك:

See the book of: Tariq Ramadan. To Be a European Muslim (Leicester: The Islamic Foundation, 1999); Tariq Ramadan. Western Muslims and The Future of Islam (New York: Oxford University Press, 2004). P. 3 ff.

أخيرا، بعد هذا النداء من ٢٠١٣ فما بعد وقف الباحث على بعض الدراسات والأبحاث تدعو إلى الأمر، مثل كتاب **الدين والتدين: التشريع النص الاجتماع**، لعبد الجواد ياسين، نشرت الطبعة الأولى منه ٢٠١٢. وأطروحة **مفهوم الدين ومظاهر التدين في القرآن الكريم: دراسة موضوعية تحليلية**، وهي رسالة دكتوراه لزميل للباحث قدمت في الجامعة الإسلامية العالمية. وغير ذلك من الدراسات. يبقى أن باكورة النداء إلى الأمر بوصفه نظرية يجب تطويره والاهتمام به راجعة إلى رسالة الدكتوراه المعنونة بـــــ "**الدين والتدين في الخطاب الإسلامي المعاصر في مصر.**"

على أن اتجاهات الاهتمام بالأمر من بعد قد يتشعب من اتجاه تاصيلي أو تغريبي، والدليل هو الفيصل.

يرى الباحث أن التدين لغة: مصدر على وزن تفعُّل، من فعل تديَّن (تفعّل) بمعنى الاتصاف بالتمسك بتعاليم وإرشادات معتقد ما وبإيمان ما. وهذا غير المعتقد.

واصطلاحا: فإن التدين هو: الحالة التي تكسب الإنسان استحقاق الوصف بما آمن به. وهو مباين للإيمان الذي خضع له لكن يأتي في المرحلة الثانية كثمرة الإيمان والاعتقاد، وترجمة الإيمان.

الخاتمة والنتائج:

الحمد لله أولًا وآخرًا، والصلاة والسلام على آخر رسل الله، وبعد، فقد كان هذا البحث في محاولة استجلاء الأطوار الفكرية التي مرت عليه مفهوم "التدين" في تاريخ الفكر الإسلامي، مع بيان عوامل وتداعيات ذلك، ولذكر نتائج البحث يرى الباحث أنه قد تباين موقف العلماء في بيان مفهوم التدين، ونظر إليه كل من منظور واعتبار معين، وبذلك يصلح القول أنه مرّ مفهوم التدين بأطوار فكرية عديدة. من أهما ما سيذكر في نتائج البحث. ومن أهم النتائج ما يأتي:

١- يكمن الطور الأور من أطوار تطور مفهوم التدين في أنه طور الاهتمام بـــــ "التدين" بوصفه جذرا من الجذور اللغوية لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي. و لم يعرف العلماء التدين أكثر من أنه من جذور كلمة الدين.

٢- ومثل الطور الثاني طور الاهتمام بـــــ "التدين" بوصفه مرادفا لمصطلح "الدين" في تاريخ الفكر الإسلامي. فكان يصدق عليه كل ما يصدق على مفهوم الدين، فالدين هو التدين والتدين هو الدين.

٣- أما الطور الثالث فيكمن في أنه طور الإشارة إلى التفريق بين الدين والتدين في تاريخ الفكر الإسلامي. حيث بدأت تظهر في الساحة ضرورة التفريق بين الدين وصور التدين، ناهيك عن الواقع الذي يقر بتباين وجهات العلماء في بيان حقيقة التدين. فنبه بعض العلماء إلى أن الدين غير التدين، وإن لم يتطرقوا إلى التفريق بين الاثنين، ولا ببيان مفهوك كل.

٤- وجاء الطور الرابع متمثلا في طور النداء إلى التفريق بين الدين والتدين، وبيان عوامل ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي. وفي هذا الطور تم توضيح الفرق بين الاثنين بجلاء.

ومن أهم **توصيات البحث** ما يأتي:

- الاهتمام بتوسيع الدراسة في كل مرحلة من المراحل السابقة، وبيان عوامل التي أثرت على تغليب المرحلية في هذه المراحل.
- ضرورة العمل على عقد الدراسات والأبحاث فيما يتعلق بمفهوم التدين عامة.
- طرح موضوعات متعلقة بالمراحل الفكرية لمفهوم التدين في الرسائل العلمية لطلاب الماجستير والدكتوراه.
- التركيز على كتابات علماء المسلمين في التراث الإسلامي للتأصيل لمفهوم التدين، وصب الاهتمام أيضا على كتابات علماء المسلمين المعاصرين المهتمين بدراسة مصطلح التدين من جهة، وبدراسة فكرة مفهوم التدين من أخرى.

المصادر والمراجع

١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت)، **لسان العرب** (الطبعة الأولى)، بيروت: دار صادر.

٣- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (د.ت)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، بيروت: دار المعرفة.

٤- آل داود، عبد العزيز بن زيد، (٢٠٠٩م)، **تحولات التدين في المجتمع السعودي**، الرياض: غيناء.

٥- البوطي، محمد سعيد رمضان، (١٩٩١م)، **فقه السيرة النبوية** (الطبعة الثالثة)، دمشق، دار الفكر.

٦- البوطي، محمد سعيد رمضان، (١٩٩٧م)، **كبرى اليقينيات الكونية** (الطبعة الثامنة)، دمشق: دار الفكر.

٧- خاتمي، محمد، (١٩٩٨م)، **مطالعات في الدين والإسلام والعصر**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الجديد.

٨- الذهبي، محمد حسين، (١٣٩٥). **الدين والتدين**، السعودية: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الأول.

٩- الرازي، محمد بن أبي بكر، (١٩٩٥)، **مختار الصحاح**، (الطبعة الجديدة)، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

١٠- الرازي، محمد فخر الدين، (١٩٨١)، **مفاتيح الغيب**، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الفكر.

١١- الزحيلي، محمد مصطفى، (١٤٢٨هـ)، **الاعتدال في التدين فكرًا وسلوكًا ومنهجًا**، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية.

١٢- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (١٩٩٣م)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق علي بو ملحم، (الطبعة الأولى)، بيروت: مكتبة الهلال.

١٣- الزحيلي، محمد مصطفى، (١٩٧٦م)، **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه**، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

١٤- الشرقاوي، محمد عبد الله، (٢٠٠٢م)، **بحوث في مقارنة الأديان** (الطبعة الثانية)، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٥- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (١٩٩٩م)، **القاموس المحيط** (الطبعة الثانية)، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٦- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري. (١٩٩٢م)، **المصباح المنير**، (الطبعة الخامسة)، القاهرة: المطبعة الأميرية.

١٧- الكبيسي، محمد عياش، (٢٠٠٣م)، **المحكم في العقيدة**، (الطبعة الأولى)، الدوحة: أعلام للفكر والثقافة.

١٨- الكفومي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (١٩٩٨م)، **كتاب الكليات**، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٩- النجار، عبد المجيد، (١٤٠١هـ)، **في فقه التدين**، (الطبعة الأولى)، الدوحة: وزارة الشؤون الدينية.